

الفصل الرابع

بناء نفسية الطفل الإسلامية

تمهيد .

المبحث الأول: البناء العبادى والروحى للطفل.

المبحث الثانى: البناء العاطفى والنفسى للطفل.

المبحث الثالث: تهذيب الدافع الجنىسى للطفل.

تمهيد

تشكل نفسية الطفل حسب مفهوم الطفل عن ميوله وغرائزه وفق قاعدة العقيدة التي تأمر وتنهى التي يؤمن بها، وهكذا ينشأ في الطفل هذا حلال وهذا حرام؛ لأن العقيدة التي يؤمن بها تأمره وتنهيه، فهو أسرع التزاماً من الكبار؛ لأن ميوله وغرائزه في طور التشكل ألين كما أن سلطان الغرائز والشهوات أضعف منه عند الكبار .

فالعبادة تغذي نفسه وروحه، وتقوى صلته بالله تعالى، وتزيده قوة وثقة نفسية.

والعاطفة عندما يأخذها بجرعات متوازنة، ستشكل لديه نفسية متوازنة.

وعندما يتهدب الدافع الجنسي لديه ، فإن نفسيته ستصبح أكثر استقراراً من الأطفال الذين لم تتهدب دوافعهم الجنسية ، وأطلقوا لها العنان نتيجة إغفال تربيتهم، أو تشكلت لديهم مفاهيم الإباحية الجنسية ، سوا عبر أسرهم ، أو مجتمعهم، أو إعلامهم .

لهذا فإن العناية بنفسية الطفل بناء وتهذيباً ، سيعين هذا الطفل ، على توازن المزاج، ويهدف تحقيق الميول والغرائز وفق العقيدة ، وبالتالي يمتلك نفسية قوية في مواجهة الأحداث ، كما يمتلك ميزاناً نفسياً في تحقيق الرغبات والميول وفق ميزان العقيدة الإسلامية التي يتلقاها من القرآن والسنة الصحيحة .

المراحل النفسية التي يمر بها الطفل :

يمر الطفل بعدة مراحل في نموه الجسمي والنفسى، فالجسم يزداد طولاً وقوة،

والنفس تنتقل من مرحلة إلى أخرى.

وقد وردت عدة أحاديث نبوية تظهر هذه المراحل، وتبين التطور التربوي المناسب لكل مرحلة.

فالحديث الذى رواه أبو داود قوله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين (وفى رواية : وهم أبناء ست سنين) واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

أظهر هذا الحديث أن الطفل من الفطام إلى السبع تتشكل عنده مرحلة أولى ومن السبع إلى العشر مرحلة ثانية، ثم من العاشرة إلى البلوغ مرحلة ثالثة أخيرة.

وهذه المراحل الثلاث يكون التعامل معه حسب الحديث التالى :

روى ابن أبى الدنيا^(١) - بسند ضعيف - عن أبى جيرة بن الضحاك ﷺ قال : قال
النبي ﷺ :

«الولد سيد سبع سنين ، وعبد سبع سنين » ، وقال الراوى : وأراه قال :
«ووزير سبع سنين ، فإن رضيت مكانفته لإحدى وعشرين ، وألا فاضرب على جنبه ، فقد عذرت الله عز وجل فيه » .

فالطفل إلى سبع سنين يعود تنفيذ الأوامر ، ويكون التقاطه من القدوة الحسنة أمامه سريعة جداً ، لأنه يريد أن يتعامل مع العالم الخارجى ، فهذه المرحلة تمثل بالنسبة إليه مرحلة السيادة ، بحيث تلبى طلباته _ غير الشاذة _ ويرفق به ، ويبدأ يكتسب المهارات كلها من والديه وأصدقائه من الأطفال .

والمرحلة الثانية : يصبح منفذاً لما يؤمر به ، ويدرب تدريباً قوياً على تنفيذ الأوامر ، وذلك لتهيأ لاستقبال الحياة فى خارج المنزل بقوة ونشاط .

(١) كتاب العيال لابن أبى الدنيا (٢ / ٦١٩) تحقيق : الدكتور نجم خلف .

والمرحلة الثالثة : مرحلة الوزارة والاستعانة به في كل الأمور ؛ لأنه تجاوز مرحلة تنفيذ الأوامر ، والتأهيل لها ، إلى مرحلة حمل المسؤولية عن الأسرة ، في كل ما تتطلبه من أمور داخلية وخارجية .

فإدراك هذه المراحل من قبل الوالدين والمربين، تساعدهم على اتخاذ الأمر المناسب للمرحلة التي يكون فيها الطفل أمامهم.

روى ابن حبان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الغلام يُعَقَّ عنه يوم السابع ، ويسمى ، ويحاط عنه الأذى .

فإذا بلغ ست سنين أُدِّب .

وإذا بلغ تسع سنين عُزل فراشه .

فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضُرب على الصلاة والصوم .

فإذا بلغ ست عشرة زوجة أبوه .

ثم أخذه بيده ، وقال : قد أدبتك ، وعلمتك ، وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتتك في الدنيا ، وعذابك في الآخرة .» .

فالتدرج في الخطوات ، ومعرفة طبيعة كل مرحلة ، تعين على إصابة الهدف التربوي وتحقيقه في عالم الواقع . والله الموفق .

المبحث الأول
البناء العبادى والروحى للطفل

قال تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ لَّحْنُ نَزْرُوقُكَ ۖ وَالْعِيقَةُ

لِلتَّقْوَى ۚ﴾ [طه] .

البناء العبادى والروحى للطفل

تمهيد:

بناء العبادة يعد مكماً لبناء العقيدة إذ العبادة تغذى العقيدة بروحها، كما أنها المنعكس الذى يعكس صورة العقيدة ويجسمها ، والطفل عندما يتوجه لنداء ربه، ويستجيب لأوامره ؛ فإنما هو يلبي غريزة فطرية فى نفسه ؛ فيشبعها ويروها .

وينبه الإمام الحجة أبو حامد الغزالى رحمه الله فى كتابه « قواعد الاعتقاد »^(١) إلى أهمية ودور العبادة فى تركيز وتثبيت العقيدة فى نفس الطفل فيقول :

«وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات. فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالسهم ، وسياهم وسماهم وهيئاتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه، والاستكانة له، فيكون أول التلقين كإلقاء بذر فى صدر، وتكون هذه الأسباب كالسقى و التربية له، حتى ينمو ذلك البذر ويقوى، ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

ثم الصبى إذا وقع نشوؤه على هذه العقيدة ، إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها ، ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق ، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد ، فأما البحث والتفتيش ،

(١) تحقيق موسى محمد على ، طبع عالم الكتب (ص ٧٦) .

وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلاً ، وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة ، وساعده التوفيق ، حتى اشتغل بالعمل ، ولازم التقوى ، ونهى النفس عن الهوى ، واشتغل بالرياضة والمجاهدة، انفتحت له أبواب من الهداية ، تكشف عن حقائق هذه العقيدة ، بنور إلهي يُقذف في قلبه، بسبب المجاهدة ؛ تحقيقاً لوعده عز وجل إذ قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت] .

وإلى هذا أشار الدكتور سعيد رمضان البوطي بقوله : ولكن لا بد لكى يظل غرس العقيدة قوياً في النفس ، من أن يسقى بماء العبادة ؛ بمختلف صورها، وأشكالها ، فبذلك تنمو العقيدة في الفؤاد ، وترعرع ، وتثبت أمام عواصف الحياة وزعازعها^(١).

والطفولة ليست مرحلة تكليف، إنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ ؛ ليسهل عليه أداء الواجبات والفرائض، وليكون على أتم الاستعداد لخوض غمار الحياة بكل ثقة وانطلاق، والعبادة لله تعالى تفعل في نفس الطفل فعلاً عجبياً، فهي تشعره بالاتصال بالله جلّ وعلا، وهي تهدي من ثوراته النفسية، وهي تلجم انفعالاته الغضبية، فتجعله سوياً مستقيماً، إذ كثافة الشهوات ضعيفة في تلك الفترة، مما يجعل روحه تتجاوب أكثر فأكثر بمناجاة الله، ويأخذ الخشوع المساحة الكبرى من الجسد، وهو يرتل آية أو يسمعها، أو هو واقف في الصلاة أو ساجد فيها، وهو يسمع أذان الإفطار ليبدأ بالطعام والشراب؛ بعد أن صام يومه، وهناك أسرار كثيرة للعبادة لا تعد ولا تحصى، تؤثر في الطفل مما يزيد قوته ونشاطه، وبذلك تفضل التربية النبوية عن أى تربية كانت .

وإن رسول الله ﷺ ليسر الأطفال الذين نشؤوا على عبادة الله - عز وجل، ببشارة عظيمة .

(١) في كتاب : تجربة التربية الإسلامية (ص ٤٠) .

فمما رواه الطبراني عن أبي أمانة عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من ناشئ ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت، إلا أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صديقاً ».

وروى ابن عبد البر في التمهيد بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : تكتب للصبي حسناته، ولا تكتب عليه سيئاته ^(١).

- ونلاحظ من توجيهات النبي ﷺ أنه ركز على سبعة أسس، وهي :

الأساس العبادي الأول : الصلاة :

ونمر بمراحل :

١- مرحلة الأمر بالصلاة :

يبدأ الوالدان بتوجيه الأوامر للطفل بأن يقف معها في الصلاة، وذلك في بداية وعيه، وإدراكه يمينه من يساره. لما روى الطبراني عن عبد الله بن حبيب أن النبي ﷺ قال : « إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلاة ».

وأخرج أبو داود عن معاذ عن عبد الله بن حبيب الجهني قال راويه هشام بن سعد: دخلنا عليه فقال لامرأته: متى يصلي الصبي؟ قالت: نعم كان رجل منا يذكر عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن ذلك؟ فقال: « إذا عرف يمينه من شماله فمروه بالصلاة » ^(٢).

ومما ورد من آثار الصحابة والتابعين في أمر صلاة الطفل، ما أورده ابن أبي الدنيا في كتاب (العيال) (٤٦٣/١) نقتطف منه ما يلي :

عن ابن هشام عروة عن أبيه أنه كان يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه، وبالصلاة إذا عقلوا.

(١) فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك لابن فرحون المالكى (١/ ٨٨).

(٢) ضعيف . انظر: ضعيف الجامع للألباني، رقم (٦٩٣).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان يعلم الصبى الصلاة إذا عرف يمينه من شماله.

وعن جندب بن أبى ثابت قال: كانوا يعلمون الصبى الصلاة إذا عدَّ عشرين.

وعن ابن أبى الموالى قال: حدثنى حسن بن على بن حسن بن على عن أبيه قال: دخلتُ مع أبى على بن حسن بن على فقال: كم لابنك هذا من سنة؟ قال: سبع سنين، قال: فمُرّه بالصلاة.

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على امرأة وهى تُوقظ ابنها لصلاة الصبح فهو يأبى، فقال: دعيه، لا تُعنيّه؛ فإنها ليست عليه حتى يعقلها.

ولا بأس بتشجيع الطفل وتحفيزه على الصلاة بالعطايا والهدايا.

فعن الفضيل بن مرزوق قال: قلتُ لسفيان: أضرِبْ ولدى على الصلاة؟ قال: أجدّه ^(١).

٢ - مرحلة تعليم الطفل الصلاة :

حيث يبدأ الوالدن بتعليم أركان الصلاة وواجباتها ومفاسداتها، وقد حدد النبى ﷺ سن السابعة بداية مرحلة التعليم :

فقد روى أبو داود عن سبرة بن معبد الجهنى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشرة سنين فاضربوه عليها».

وفى رواية الترمذى قال: «علموا الصبى الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر» ^(٢).

(١) أجد الولد: صار ذا جد واجتهاد، أي: شجّعه وحفّزه، انظر: تحقيق كتاب العيال.
(٢) أبو داود برقم (٤٩٤) والترمذى برقم (٤٠٧) وإسناده حسن. انظر: جامع الأصول (١٨٧/٥) تحقيق الأرناؤوط. ورواه البيهقى فى سننه (٨٤/٣) ورواه الحاكم فى مستدركه (٢٥٨/١) وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (١٠٢/٢).

وفي رواية أحمد (٤٠٤/٣): «إذا بلغ الغلام سبع سنين؛ أمر بالصلاة، فإذا بلغ عشرًا ضُرب عليها».

وفي رواية الدارقطني (٢٣٠/١): «مُرُوا صبيانكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر».

وكان رسول الله ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجونه في الصلاة: أخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن الحسن بن علي بن أبي طالب ؓ قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضي عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»^(١).

ويصحح ﷺ لهم أخطاءهم في صلاتهم:

روى الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: رأى رسول الله ﷺ غلاماً لنا يقال له: أفلح، إذا سجد نفخ، فقال: «يا أفلح، تَرَبَّ وجهك»^(٢).

ويعلمهم الأذان كذلك:

قال أبو مخذورة^(٣): خرجت في عشرة فتيان مع النبي ﷺ وهو أبغض الناس إلينا، فأذّنوا، فقمنا نوذن نستهزئ بهم، فقال رسول الله ﷺ: «اثنوني بهؤلاء الفتيان»، فقال: أذّنوا، فكنت أحدهم، فقال النبي ﷺ: «نعم هذا الذي سمعت صوته، اذهب فأذّن لأهل مكة»، فمسح على ناصيتي وقال: «قل»:

(١) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١٥٢/٢) قال المحقق مصطفى الأعظمي: إسناده صحيح، ورواه أحمد (٢٠٠/١) من طريق شعبة.

(٢) إسناده ضعيف. انظر: جامع الأصول، تحقيق الأرنؤوط (٥٠١/٥).

(٣) رواية حديث أبي مخذورة رويت بعدة روايات مختلفة، اخترنا ما هو الأنسب للتوجيه التربوي، حيث الأحكام الفقهية تتلقى من كتب الفقه الإسلامي. فالحديث قد يكون منسوخاً من ناحية الأحكام الفقهية، إلا أنه ليس منسوخاً من الناحية التربوية.

- الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر.

- أشهد أن لا إله إلا الله مرتين.

- وأشهد أن محمداً رسول الله مرتين.

- حى على الصلاة حى على الصلاة.

- حى على الفلاح حى على الفلاح.

- الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله .

وإذا أذنت بالأول فى الصبح فقل : الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم.

وإذا أقمت فقلها مرتين قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، أسمعت» قال:

وكان أبو محذورة: لا يجوز ناصيته، ولا يفرقها، لأن رسول الله ﷺ مسح عليها.

رواه الدار قطنى (١/ ٢٣٥) ورواه أحمد (٣/ ٤٠٨). ورواه مسلم وأصحاب

السنن الأربعة.

ومما كان يحرص عليها الآباء استدعاء رسول الله ﷺ ليصلى بهم فى بيوتهم،

فيزداد البيت بركة وأنساً، ويرى الصغار صلاة رسول الله ﷺ:

أخرج البخارى ومسلم عن أنس ؓ أن جدته ملىكة دعت رسول الله ﷺ

لطعام صنعته، فأكل منه، فقال: «قوموا فلاصلى بكم» فقامت إلى حصير لنا قد اسود

من طول ما لبث، فنضحته بهاء، فقام رسول الله ﷺ، واليتيم معي، والعجوز من

ورائنا، فصلى بنا ركعتين.

إن دعوة الوالدين للمصالحين والصالحات إلى بيوتهم، ورؤية الصغار لصلاتهم

فى البيت، تكسب الطفل حب الصلاة وتعمق فى نفسه أركانها وسننها، وتربيه قيام

المجتمع بواجب الصلاة، فيتسارع لأدائها، ويتنشط لفعلها، مما يساعد الوالدين

بحيث لا يجدون مشقة فى تعويد الطفل فريضة الصلاة.

وكان ﷺ يوجه خطاباً قبل كل صلاة يصف الأطفال في الصف الأخير، روى مسلم عن أبي مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول «استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهي - هم الرجال البالغون - ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» .

وعن راشد بن سعد قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُقام الصبيان في الصف الأول.

ويوجه ﷺ نداء للأطفال بعدم الالتفات يمنة ويسرة أثناء الصلاة، وما هذا إلا دليل الاهتمام بتعليم الطفل كيفية الصلاة: أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يا بني، إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان ولا بد ففى التطوع، لا فى الفريضة» ^(١) .

وبذلك يعلم الرسول ﷺ الطفل أحكام الفريضة والتطوع.

وسار الصحابة على منهج النبوة، فبدؤوا بتعليم أطفالهم بأنفسهم، فهذا على - كرم الله وجهه - يدعو الحسين، فيعلمه كيفية الوضوء، ويحييه على استفساراته فيه:

أخرج أبو داود عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: دعاني أبى على بوضوء، فقربته له، فبدأ فغسل كفيه ثلاث مرات قبل أن يدخلهما في وضوئه، ثم مضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحاً واحدة، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائماً فقال: ناولنى فناولته الإناء الذى فيه فضل وضوئه، ثم شرب من فضل وضوئه، قائماً فعجبت، فلما رآنى قال: لا تعجب، فإنى رأيت أباك النبي ﷺ يصنع مثل ما رأيتنى صنعت، يقوم لوضوئه

(١) رواه الترمذى برقم (٥٨٩) فى الصلاة، وفيه: على بن زيد بن جدعان ضعيف.
انظر: جامع الأصول (٤٩٧/٥) تحقيق الأرنؤوط شرح السنة (٣/٢٥٣).

هذا، وشرب فضل وضوئه قائماً.

إن رؤية الطفل لوضوء الكبير، له كبير الأثر في تعليمه، وتطبيقه له بشكل عملي صحيح: فقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه^(١) عن مالك عن نافع قال: رأيت صفية بنت أبي عبيد توضحأت، وأنا غلام، فإذا أرادت أن تمسح رأسها سلخت الخمار.

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم أولاده الأدعية المأثورة كما يروى ذلك ابنه مصعب فيقول: كان سعد يعلمنا خمساً يذكرهن عن النبي ﷺ: «اللهم، إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر». رواه أبو يعلى في مسنده (٧٢ / ٢) بسند صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يُعلمهم الدعاء كما يُعلمهم السورة من القرآن، يقول: «قولوا: اللهم، إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ونعوذ بك من عذاب القبر، ونعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

رواه الإمام مسلم، ثم قال: بلغني أن طاوساً قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك؟ فقال: لا، قال: أعد صلاتك، قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (٩٨ / ٥):

ولعل طاوساً أراد تأديب ابنه، وتأكيد هذا الدعاء عنده، لا أنه يعتقد وجوبه، والله أعلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد، كما يعلم

(١) المصنف (١٨ / ١).

المكتب الغلّمان . رواه ابن المنذر في (الأوسط) (٢٠٥ / ٣) . قال محققه : رواه ابن أبي شيبة ، والطبراني في الكبير من طريق عبد الرحمن ، وهو ضعيف ، كذا قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٠ / ٢) .

ونختم هذه المرحلة بنصيحة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود إلى الآباء والأمهات حيث قال فيما أخرجه الطبراني : « حافظوا على أبنائكم في الصلاة ، وعودوهم الخير ، فإن الخير عادة » . رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨٤ / ٣) .

ويعلمهم أحكام الوضوء كذلك :

روى الإمام أحمد - بسند حسن - عن محمد بن عمرو بن عطاء بن عياش بن علقمة أخى بنى عامر بن لؤى قال : دخلتُ على ابن عباس بيت ميمونة زوج النبي ﷺ لغد يوم الجمعة قال : وكانت ميمونة قد أوصت له به ، فكان إذا صلى الجمعة بسط له فيه ، ثم انصرف إليه ، فجلس فيه الناس ، قال : فرَفَعَ ابنُ عباس رضى الله عنهما يدهُ إلى عينيه ، وقد كُفَّ بصرُهُ ، فقال : بَصُرَ عيناى هاتان ، رأيتُ رسول الله ﷺ تَوْضِأً للصلاة الظُّهر في بعض حجره ، ثم دعا بلال إلى الصلاة فنهض خارجاً ، فلما وقف على باب الحجرة لقيته هدية من خبز ولحم بعث بها إليه بعض أصحابه ، قال : فرجع رسول الله ﷺ بمن معه ، ووضعت لهم في الحجرة ، قال : فأكل وأكلوا معه ، قال : ثم نهض رسول الله ﷺ بمن معه إلى الصلاة ، وما مسَّ ، ولا أحد من كان معه ماء ، قال : ثم صلى بهم ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما عقل من أمر رسول الله ﷺ آخره ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك .

هكذا أصبح ابن عباس رضى الله عنهما حجة فيما يفتي ، لأنه عقل من رسول الله ﷺ وهو صغير آخر الأمور عن الأعمال عن رسول الله ﷺ والتي تكون ناسخة لما قبلها ، أو مساوية له .

ويعلمهم سجدة التلاوة :

أورد البخارى باب من سجد لسجود القارئ وقال ابن مسعود لتميم بن حذلم وهو غلام فقرأ عليه سجدة ، فقال : اسجد فإنك إمامنا فيها .

٣- مرحلة الأمر بالصلاة والضرب على تركها :

وتبدأ فى سن العاشرة من عمر الطفل ، فإذا قصر فى صلاته ؛ أو تهاون ، أو تكاسل فى أدائها ، فعند ذلك يجوز للوالدين استخدام الضرب ؛ تأديباً له على ما فرط فى حق نفسه، وعلى ظلمه لها باتباع سبل الشيطان ؛ لأن الأصل فى هذه المرحلة أن ينصاع للأمر حيث هو ما زال فى مرحلة الفطرية، والشيطان ما زال تأثيره عليه ضعيفاً . فعدم صلاته دليل على تمكن الشيطان منه شيئاً فشيئاً، لذلك فهو بحاجة إلى العلاج النبوى وهو الضرب، ولا بأس بإفهام الطفل سبب الضرب، وتلاوة حديث رسول الله ﷺ عليه :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»^(١) .

- ويعلق الشيخ ولى الله الدهلوى على الحديث فيقول :

بلوغ الصبى على وجهين: بلوغ صلاحية السقم والصحة النفسانيتين، ويتحقق بالعقل فقط. وأمارة ظهور العقل سبع ، فابن سبع ينتقل فيها لا محالة ، من حالة إلى حالة انتقالاً وأمارة تمامه العشر ، فابن العشر عند سلامة المزاج يكون عاقلاً ، يعرف نفعه وضرره ، ويحذق فى التجارة وما يشبهها ، وبلوغه فى صلاحية الجهاد ؛ والحدود ، والمؤاخذه عليه ، وأن يصير من الرجال ، الذين يعانون - أى يقاسون -

(١) رواه أبو داود (٤٩٥، ٤٩٦) فى الصلاة ، وإسناده حسن . انظر : جامع الأصول (١٨٧/٥) .

المكائد ، وبعد حالهم في السياسات المدنية والمالية ، ويجبرون قسراً على الصراط المستقيم ، ويعتمد على تمام العقل ؛ وتتمام الجثة ، وذلك بخمس عشرة سنة في الأكثر ، ومن علامات هذا البلوغ : الاحتلام ، وإنبات العانة .

والصلاة لها اعتباران : فباختبار كونها وسيلة ، فيما بينه وبين مولاه ، منقذة عن التردى في أسفل السافلين ، أمر بها عند البلوغ الأول ، وباعتبار كونها من شعائر الإسلام ، يؤخذون بها ، ويجبرون عليها شأؤوا أم أبوا ، حكمها حكم سائر الأمور ، ولما كان سن العشر برزخاً بين الحدين ، جامعاً بين الجهتين ، جعل له نصيباً منهما^(١) .

٤- تدريب الأطفال على حضور صلاة الجمعة :

عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فعليه الجمعة ، إلا مسافراً ، أو مملوكاً ، أو صيباً ، أو امرأة ، أو مريضاً ، فمن استغنى عنها بلهو أو تجارة ، استغنى الله عنه ، والله غنى حميد »^(٢) .

ثم علق الإمام الكاساني في « البدائع » على الحديث بقوله : « فصلاة الصبي تكون تطوعاً »^(٣) .

وبتدريب الصبي على صلاة الجمعة تحصل له عدة فوائد جمّة ، منها :

- ١- عندما يبلغ يكون معتاداً على إقامتها .
- ٢- تأثره بسماع الخطبة ، إذ فطرته تكون حساسة لالتقاط أحاديث الإيمان ، وسيرة الرسول ﷺ ، كما هي تدريب له لسماع العلم .
- ٣- يألف تجمعات المسلمين ، ويشعر بدخوله للمجتمع ؛ إذ لا بد أن يتعرف على

(١) حجة الله البالغة للدهلوي (١/ ١٨٦) .

(٢) الحديث رواه أبو داود عن طارق بن شهاب قال : قال رسول الله ﷺ : « الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة : عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض » ورواه الدارقطني (٣/ ٢) .

(٣) بدائع الصنائع (١/ ٢٥٩) .

من يعرفهم والده.

٤- على رأى من قال: بأن الساعة المستجابة في يوم الجمعة؛ هي لحظة الخطبة، فيكون من الحاضرين لهذه الساعة المستجابة؛ التي حدث عنها الرسول ﷺ .

٥- تكون تغذية إيمانية، وشحناً روحياً على إقامة الصلوات الخمس، وطاعة الله بين الجمعة والجمعة.

٦- يتعرف بها على علماء الأمة ودعاتها، مما له كبير الأثر في كبره، فضلاً عن صغره.

٧- بصلاة الجمعة يحصل له بناء شخصية بكامل عناصرها : العقدية ، والعبادية ، والاجتماعية ، والعاطفية ، والعلمية ، والجسمية ، والصحية ، والتهذيب الجنسى . والله أعلم .

٥- نموذج للأطفال في قيام الليل :

لم يكتف أطفال الصحابة بالمحافظة على الصلوات الخمس ، إنما تعدوها إلى النوافل ، في قيام الليل ، كما فعل ابن عباس رضى الله عنهما : فقد أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: بُتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث ، زوج النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ عندها في ليلتها ، فصلى النبي ﷺ العشاء ، ثم جاء إلى منزله ، فصلى أربع ركعات ، ثم نام ، ثم قام ؛ ثم قال: « نام الغليم » أو كلمة تشبهها ، ثم قام فقامت عن يساره ، فجعلنى عن يمينه ، فصلى خمس ركعات ، ثم صلى ركعتين . ثم نام حتى سمعت غطيظه أو خطيظه ، ثم خرج إلى الصلاة .

وفي رواية ابن خزيمة في صحيحه (١٧ / ٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قال: بُتُّ في بيت خالتي ميمونة، فتبعتُ كيف يصلى رسول الله ﷺ ، ثم قام يصلى ، فجئت ، فقامت إلى جنبه ، فقامت عن يساره ، وقال : فأخذنى ؛ فأقامنى عن يمينه . قال المحقق مصطفى الأعظمى : ورواه مسلم من طريق بNDAR .

أرأيت إلى هذه الطفولة التى تهتم بحركات حبيبها ﷺ ، وأن تصلى معه بعد

النوم من الليل؟! ثم إلى هذا الاهتمام من الرسول ﷺ ، بصلاة الطفل الصغير معه ، فيصح له ، ويجعله عن يمينه ، بل هكذا كان شأنه ﷺ ، أن يصلى مع الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، ويدخل الفرع إلى البيوت المسلمة :

فقد أخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أنه كان هو ورسول الله ﷺ وأمه وخالته ، فصلى بهم ، فجعل أنساً عن يمينه ، وأمه وخالته خلفهما . ورواه الشافعي في مسنده .

ومن القصص الطريفة اللطيفة التي يقف الإنسان أمامها متعجباً ؛ لنباهة صاحبها ، المحاورة التالية بين الطفل أبى يزيد طيفور بن عيسى البسطامي وأبيه :

قال الشيخ ابن ظفر المكي ^(١) : بلغنى أن أباً يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه لما حفظ ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَرْمِلُ ﴾ ﴿ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل] قال لأبيه : يا أبت ، من الذى يقول الله تعالى له هذا ؟ قال : يا بنى ، ذلك النبى محمد ﷺ ، قال : يا أبت ، ما لك ، لا تصنع كما يصنع ﷺ ، قال : يا بنى ، إن قيام الليل خصص به ﷺ ، وبافتراضه دون أمته ، فسكت عنه ، فلما حفظ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي أَلَيْلٍ وَنِصْفَهُ ، وَثُلُثَهُ ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل] قال : يا أبت ، إنى أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل فمن هذه الطائفة ؟ قال : يا بنى أولئك الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين ، قال : يا أبت ، فأى خير فى ترك ما عمله النبى ﷺ وأصحابه ؟! قال : صدقت يا بنى ، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلى فاستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه يصلى فقال : يا أبت علمنى كيف أتظهر وأصلى معك ، فقال أبوه : يا بنى ، ارقد فإنك صغير بعد ، قال : يا أبت ، إذا كان يوم يصدرُ الناس أشتاتاً؛ ليُروا أعمالهم ، أقول لربى : إنى قلت لأبى كيف أتظهر لأصلى معك ، فأبى ، وقال لى : ارقد ، فإنك صغير بعد ، أحب هذا ؟ فقال له أبوه :

(١) فى كتابه: أنباء نجباء الأبناء (ص ١٥٠).

لا والله يا بنى ، ما أحب هذا ، وعلمه ، فكان يصلى معه .

٦- تعويد الطفل على صلاة الاستخارة:

روى ابن السننى ^(١) أن النبى ﷺ قال: « يا أنس ، إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ، ثم انظر إلى الذى يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه » .

٧- اصطحاب الأطفال لصلاة العيد :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يخرج فى العيدين مع الفضل بن العباس ، وعبد الله بن عباس ، والعباس ، وعلى ، وجعفر ، والحسن ، والحسين ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن حارثة ، وأيمن ابن أم أيمن ، رافعاً صوته بالتهليل والتكبير ، فيأخذ طريق الحدادين حتى يأتى المصلى ، فإذا فرغ رجع على الحدادين حتى يأتى منزله . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (٣٤٣ / ٢) قال المحقق مصطفى الأعظمى : إسناده ضعيف .

وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال له رجل : شهدت الخروج مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، ولولا مكانى منه ما شهدته يعنى فى صغره .

وفى رواية قال : خرجت مع النبى ﷺ يوم فطر أو أضحى ، فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة .

وفى رواية : قال : نعم ، ولولا مكانى من الصغر ما شهدته .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢ / ٢٧٦) : « شهد ابن عباس رضى الله عنهما صلاة العيد مع النبى ﷺ ، وقد صرح فيه بأنه كان صغيراً » .

إن تحرك الأسرة المسلمة الأب والأم والأولاد إلى صلاة العيد ، وإظهار الفرحة والبهجة واللبس الجديد ، والتزين لصلاة العيد ، تزيد من فرحة الأطفال وتنشئتهم

(١) رقم (٦٠٣) كتاب (عمل اليوم والليلة) .

تنشئة إيمانية ، وحباً صادقاً لصلاة العيد ، وترتهم المجتمع الإسلامى فى أحلى منظر ، وأجمل مشهد ، يقول المسلم لأخيه مهنتاً : تقبل الله منا ومنك ، ويزيدون عليها ما يشاؤون بعد ذلك من العبارات والكلمات المهتة ، ومهما كانت الظروف التى تمر بها البلاد ، فإنها لا بد من إظهار فرحة العيد لأنها عيد المسلمين أتى بعد طاعة الله ، وأما إظهار الحزن فى ذلك اليوم فليس من السنة فى شىء إلا ما استثنى فى حالة الوفاة . والله أعلم .

٨- مشاركة الأطفال فى تحرى ليلة القدر:

عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: كنتُ فى مجلس لبنى سلمة وأنا أصغرهم ، فقالوا : من يسأل لنا رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ وذلك فى صبيحة إحدى وعشرين ، من رمضان ، فخرجت ، فوافيتُ رسول الله ﷺ فقلت : أرسلنى إليك رهط من بنى سلمة يسألونك عن ليلة القدر ؟ فقال : « كم الليلة؟ » فقلت : اثنتان وعشرون فقال : « هى الليلة » ثم رجع فقال : « أو المقابلة » ، أخرجه أبو داود .

ومن أمثلة تحرى الصغار ليلة القدر ومشاركتهم لها، ما ذكره والد الإمام النووى عن ولده فقال:

« كان نائماً إلى جنبه، وهو ابن سبع سنين، ليلة السابع والعشرين من رمضان، فانتبه نحو نصف الليل وقال: يا أبت، ما هذا الضوء الذى ملأ الدار؟!

قال: فاستيقظنا، ولم نر كلنا شيئاً فعرفت أنها ليلة القدر » ^(١) .

٩- حضور الطفل صلاة الجنازة :

أخرج البخارى عن سليمان الشيبانى قال : سمعت الشعبى قال : أخبرنى من مرَّ مع النبى ﷺ على قبر منبوذ ، فأتمَّهم ، وصفَّوا عليه ، فقلت : يا أبا عمر ، ومن

(١) انظر، مقدمة : دليل الفالحين فى شرح رياض الصالحين لابن علان .

حدثك ؟ فقال : ابن عباس رضى الله عنهما . قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢ / ٢٧٦) : « والغرض منه (أى الحديث) صلاة ابن عباس رضى الله عنهما معهم ، ولم يكن إذ ذاك بالغاً » .

وروى مسلم عن سمرّة بن جندب رضي الله عنه قال : كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً ، فكنت أحفظ عنه ، فما يمنعنى من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسنُّ منى ، وقد صليت وراء رسول الله ﷺ على امرأة ماتت فى نفاسها ، فقام عليها رسول الله ﷺ فى الصلاة وسطها .

وبحضور الطفل صلاة الجنائز ومشاهدته المسلمين يصلون على المتوفى ، ورؤيته للمقابر ، زيادة إيمان له يقرأ من الآيات القرآنية أن الإنسان فان فى هذه الحياة الدنيا ، وأنه سيموت ويُبْعَث من قبره يوم القيامة للحساب ، فيشهد ذلك عملياً وحسباً ، وليس ذلك إرعاباً له ، أو تخويفاً نفسياً . كما يدعيه المنحرفون والضالون ، وإنما يرى الطفل قدرة الله سبحانه فى خلقه ، فتارة يشاهد مولوداً جديداً ، خلقه الله تعالى ، وتارة يرى ميتاً قد مات ويشارك فى صلاة جنازته ، مشاهداً للمسلمين وهم يترحمون عليه ، ويوارونه قبره ، وإذا حضر العزاء ، فيرى الوقار والهدوء والمشاركة الجماعية للمجتمع المسلم فى تخفيف آلام وحزن أهل المتوفى ، وبالتالي ينشأ قوى الصلة بالله تعالى ، وأنه سبحانه هو المحيى المميت ، وأن الكبير والصغير ، والذكر والأنثى سيوارى إلى قبره ، وبالتالي فلا يخاف بشراً ، ولا يهاب الظالمين ، ويبقى قلبه موصولاً بالمحيى المميت ، فيزداد خوفاً من الله وقرباً منه ، وهذه خاصية الإيمان بالله ، أنه كلما خاف العبد مولاه سبحانه ازداد قرباً منه ، على خلاف الخوف من البشر ، فإنه يزداد بُعداً عنهم .

لقد واسى رسول الله ﷺ أولاد جعفر بن أبى طالب عندما استشهد فى مؤتة ، وواسى أولاد حمزة بن عبد المطلب عمه سيد الشهداء عندما استشهد فى أحد ،

وقال: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً» مواساة لهم ومشاركة لهم في طعامهم ليخفف عنهم ألم المصاب والفجعة . فالموت حق، والبعث من القبر حق، والقيامة حق، والحساب حق، والجنة حق والنار حق، ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُم مِّمَّا فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

وإذا كان تنمية خيال الطفل ضرورة تربوية ، فلأن يتوسع بالحقائق الإيمانية ، خير من توسيعه بالخرافات البهلوانية التي يسطرها غير المسلمين ويعرضونها في (الرأي : التلفاز) باسم (أفلام كرتون) ، فإن فيها ما يرعب الكبار ويخيفهم فضلاً عن الصغار ، علاوة عن كونها خرافة وليست بحقيقة .

- بعض الجهلة يحلوه عندما تكون الحقيقة واقعية ومصدرها الدين الإسلامي يرفضها، وعندما تكون خرافة غريبة يقبلها، ثم إذا وجهت إليه التهمة أنه مبتعد عن الإسلام، ادعى أنه مسلم.

- لهذا فإنه لا حاجة للأب المسلم والأم المسلمة والمربي المسلم الغيورين على دينهم وعقيدتهم، أن يسمعوا لمثل تلك الأصوات الشيطانية، التي لا تصمد أمام الحقائق القرآنية والنبوية.

١٠- حضور الأطفال صلاة الاستسقاء ودعائها:

قال الشافعي رحمه الله تعالى: «وأحبُّ أن يخرج الصبيان ويتنظَّفوا للاستسقاء، وكبار النساء ومن لا هيئة لها منهن» .

قال الماوردي: « لما روى عن النبي ﷺ أنه قال : لولا مشايخ رُكَّعُ ، وأطفال رُضَّعُ ، وبهائم رُتَّعُ ، لُصِّبَ عليكم العذاب صَباً »^(١) « ولأن الصبيان أحق بالرحمة ،

(١) انظر : الحاوي للماوردي ، تحقيق : على معوض ، وعادل عبد الموجود (٢/ ٥١٥) : وقال في الحاشية عن الحديث : أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٥) وعزاه ابن الملقن لأبي يعلى ، انظر : خلاصة البدر (١/ ٢٥٠) والتلخيص (١/ ٩٧) .

وأقرب إلى إجابة الدعوة ، لقلّة ذنوبهم» . ١. هـ^(١) .

وهكذا نرى أن الطفل يشارك المجتمع المسلم أفراحه ، وأحزانه ، وهمومه ، وزرعه ، ومطره ، وكل شيء يخص ذلك المجتمع ، فينشأ الطفل وهو مدرك لما حوله ، غير بعيد عنه ، فيذكر في كبره : صلاته في صغره ومشاركته مع المجتمع ، فيتربى تربية عملية واقعية ، ويعتاد طاعة الله تعالى منذ صغره ، فتصبح شيئاً مهماً في كيان شخصيته ، فإذا حزبه أمر سارع إلى طاعة الله واستغفاره ، ودعائه له ، وهكذا يُستخدم الأطفال في استجلاب - رحمة الله - على المجتمع ، فيكونون خيراً عليهم ، وسبباً في التوبة إلى الله ، والطلب منه - سبحانه - أن يُمطرهم إذا قحطوا .

الأساس العبادي الثاني : الطفل والمسجد :

١- أخذ الطفل إلى المسجد :

المسجد هو الصرح الذي يبنى الأجيال تلو الأجيال ، ولقد كان ، وما زال هو المصدر لأجيال باعوا أنفسهم لله ، وساروا على منهجه ، واقتدوا برسولهم ؛ لهذا عني أطفال الصحابة بالصلاة مع رسول الله ﷺ في المسجد ، فهذا جابر بن سمرة يحدثنا عن طفولته وصحبته لرسول الله ﷺ .

-- روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : « صليت مع رسول الله ﷺ . صلاة الأولى يعني صلاة الظهر ، ثم خرج إلى أهله ، وخرجت معه ، فاستقبله ولدان أي : صبيان فجعل ﷺ يمسح خدي أحدهم ، واحداً واحداً ، قال جابر : « وأما أنا فمسح خدي ، فوجدت ليده برداً ، وريحاً ، كأنها أخرجها من جُونة عطار » .

ويكون أخذ الطفل للمسجد ، عندما يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه ،

(١) انظر : الحاوي للهاوردي ، تحقيق : على معوض ، وعادل عبد الموجود (٢/ ٥١٥) : وقالوا في الحاشية عن الحديث : أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٥) وعزاه ابن الملقن لأبي يعلى ، انظر : خلاصة البدر (١/ ٢٥٠) والتلخيص (١/ ٩٧) .

ويصبح نظيفاً ، فلا يتبول ، ولا يتغوط تحته ، وإنما يذهب إلى بيت الخلاء بنفسه ، ويكون قد تعلم آداب المسجد : من دخول بهدوء ، ووضع الحذاء في مكانه المخصص ، وطيه على بعض في أثناء السير ، وعدم الركض في المسجد ، والابتعاد عن مزاحمة الكبار ، والانتباه واليقظة للخطبة ، والدرس ، والصلاة ، وعدم العبث .. إلخ .

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن رجل يأتى بالصبي إلى المسجد، أيستحب ذلك؟ قال: إن كان قد بلغ موضع الآداب، وعرف ذلك، ولا يعبث، فلا أرى بأساً، وإن كان صغيراً لا يقر فيه، ويعبث فلا أحب ذلك ^(١) .

وقد طلب الرسول ﷺ من أئمة المساجد أن يخففوا من الصلاة رافة بالأطفال، الأمر الذي دل على جواز صلاة الأطفال ، وأخذهم إلى المسجد .

أخرج البخارى ومسلم عن عقبة بن عمرو البدرى رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني لأتأخر عن الصلاة ؛ من أجل فلان ، مما يطيل بنا ، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قطّ أشد مما غضب يومئذ ، فقال : « يا أيها الناس ، إن منكم منفرين فأيكّم أمّ الناس فليوجز ، فإن من ورائه الكبير ، والصغير ، وذا الحاجة ».

وبحضور الطفل الصلاة في المسجد، فإنه يشارك المسلمين في حفظ عدد الركعات :

فعن إبراهيم بن سويد قال : صلى بنا علقمة الظهر، فصلّى خمساً ، فلما سلم ، قال القوم : يا أبا شبل ، قد صليت خمساً ، قال : كلا ، ما فعلتُ ، قالوا : بلى ، قال : فكنتُ في ناحية القوم ، وأنا غلام ، فقلت : بلى قد صليت خمساً ، قال لى : وأنت أيضاً يا أعور! تقول ذلك ؟ قلت : نعم ، فأقبل فسجد سجدين ثم سلم ، ثم قال عبد الله: صلى بنا رسول الله ﷺ خمساً ، فلما انفتل توسوس القوم بينهم ، فقال : « ما شأنكم ؟

(١) انظر : الترية في الإسلام ، تحقيق د. أحمد الأهواني (ص ٢٨٢) .

قالوا : يا رسول الله ، هل زيد في الصلاة ؟ قال « لا » ، قالوا : فإنك قد صليت خمساً ، فانقل ! فسجد سجدتين ، ثم سلم ، ثم قال : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون » . رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٣٣ / ٢) قال المحقق مصطفى الأعظمي : ورواه مسلم .

٢- كيف يصف الأطفال مع الرجال في صلاة الجماعة ؟

عن عبد الله بن غنم عن أبي مالك الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه كان يسوى بين الأربع ركعات : في القراءة ، والقيام ، ويجعل الركعة الأولى هي أطولهن ؛ لكي يثوب الناس ، ويجعل الرجال قدام الغلمان ، والغلمان خلفهم ، والنساء خلف الغلمان . رواه أحمد .

ولأبي داود عنه قال : ألا أحدثكم بصلاة النبي ﷺ ؟ ! قال : فأقام الصلاة ، وصف الرجال ، وصف خلفهم الغلمان ؛ ثم صلى لهم ، فذكر صلاته . وعن أنس قال : صليتُ وأنا في بيتنا خلف النبي ﷺ ، وأمي خلفنا ، وأم سليم . رواه البخاري ^(١) .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ولإياكم وهيشات الأسواق » . رواه الحاكم في مستدركه (٨ / ٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه البخاري وأقره الذهبي . ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٣٢ / ٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « صليت إلى جنب النبي ﷺ ، وعائشة خلفنا معنا ، وأنا إلى جنب النبي ﷺ أصلي معه » .

رواه ابن خزيمة في صحيحه (٦٧ / ٣) بسند حسن .

(١) نؤكد مرة ثانية أن الاستشهاد بالحديث الشريف في هذا الكتاب هو للجانب التريوي ، وليس لجانب الفقهي .

٣- ربط الطفل بالمسجد :

نظرة^(١) ربط الطفل بالمسجد نظرة صحيحة ، لا معدل عنها ، إنقاذاً لهذه البراعم من المفسدة .

وربطاً بالتاريخ نذكر أن تونس وبقية الشمال الإفريقي ، قد مرت بها محنة الأفكار الحاكمة ، التي ادعى فيها صاحبها الألوهية ، مما لو تم له لأصبحت ديار الإسلام خراباً ، فقد وفق الله لدفع هذه المحنة المربي الصالح : محرز بن خلف الصديقي المتوفى سنة ٤١٣ هـ ، فأخذ يعلم الأطفال في بعض المساجد ، لا كتعلم المؤدبين الذين ليست غايتهم إصلاحية ، وإنما هو تعليم مرب صالح ، ينظر نظرة بعيدة ، لا مرمى لها إلا تكوين الطفل التكوين الإسلامي ، وقد أشار إلى هذا المعنى وهو : تحبيب الإسلام إلى قلوب الأطفال ، أبو عبد الله محمد بن أبي زيد القيرواني في رسالته الشهيرة ، رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢٣ / ١) التي نفع الله بها الإسلام ، النفع العام التام ، فقال في طالعته :

وبعد : أعاننا الله وإياك ، على رعاية ودائعه ، وحفظ ما أودعنا من شرائعه ، فإنك سألتني : أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة ، مما تنطق به الألسنة ، وتعتقد القلوب ، وتعمله الجوارح ، وما يتصل بالواجب من ذلك ، لما رغبت فيه ، من تعليم ذلك للولدان ، كما تعلمهم حروف القرآن ، ليسبق إلى قلوبهم من دين الله وشرائعه ، ما تُرجى لهم بركته ، وتحمد عاقبته ، فأجبته إلى ذلك ، لما رجوته لنفسى ولك من الثواب تعليم دين الله ، والدعوة إليه .

واعلم أن خير القلوب ، وأوعاها للخير ، ما لم يسبق الشر إليه ، وأولى ما عنى به الناصحون ، ورغب في أجره الراغبون : إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ، لكي يرسخ فيها ، وتنبههم على معالم الديانة ، وحدود الشريعة ، لكي يراضوا عليها « انتهى .

(١) من كلمة الشيخ محمد الشاذلي في مؤتمر رسالة المسجد بمكة (١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) عن كتاب: مؤتمر بحوث: رسالة المسجد (ص ٤٤٦).

وإذا علمنا أنه يجوز تعليم الأطفال^(١) إذا لم يأخذ عليه أجراً كما قال الشيخ أنور الكشميري^(٢) قلنا : إن المسجد الذى خرّج أطفال الصحابة ، والسلف الصالح ، قادر أن يخرج أمثالهم ، إذا وجه الآباء والأمهات أطفالهم نحو المسجد ؛ ترغيباً لا تنفيراً، وتحبيباً لا تقييحاً، وتشجيعاً لا تخذيلاً .

كذلك إذا وعى الكبار دورهم فى المسجد ، نحو الأطفال الذين يردون المسجد، فواجبهم النصح اللطيف ، والموعظة الحسنة ، والرفق واللين ، وبسط الجناح، والتواضع، وإشعارهم بالعطف والحنان ، وذلك ليعيد الطفل زيارته للمسجد والصلاة ، وحضور الدرس فيه ، وكم رأينا كباراً فى السن منفريين ، فكانوا سبباً لانحراف كثير من الأطفال ، بالصراخ عليهم ، وطردهم من المساجد ، وهذا من مصائب الأمة ، تحتاج من إمام المسجد نصح هؤلاء وتنبههم .

إن اصطحاب الأب أو الأخ الكبير للطفل إلى المسجد. هو شعار الملة الإسلامية ، فتنتبّع تلك الزيارات المسجدية فى نفس الطفل ، فإذا مات الأب فجأة، فإن الطفل يستمر بالذهاب إلى المسجد ؛ لأنه كان يرى والده يحب ذلك ، ويحرص عليه ، فتورث الطفل الصلاة فى المسجد عمل مهم جداً لاستمرارية التربية الإسلامية .

الأساس العبادى الثالث : الصوم :

عبادة الصوم روحية جسدية، يتعلم منها الطفل الإخلاص الحقيقى لله تعالى، ومراقبته له فى السر، وتربى إرادة الطفل بالبعد عن الطعام رغم الجوع، والبعد عن الماء رغم العطش.

كما يقوى على كبح جماح رغباته ، ويتعود فيه الطفل الصبر والجلد ، وقد ربى الصحابة أطفالهم على عبادة الصيام ، فعن الإمام البخارى فى صحيحه - باب :

(١) أى : فى المسجد .

(٢) فض البارى على شرح صحيح البخارى (١/ ٢٣٠) .

صوم الصبيان - وأورد حديث عمر حيث قال عمر لنشوان وقد أفطر في رمضان :
ويلك وصبياننا صيام ! فضر به .

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على الحديث :

قوله : باب : صيام الصبيان ، أى : هل يشرع أم لا ؟ والجمهور على أنه لا يجب على من دون البلوغ ، واستحب جماعة من السلف ، منهم ابن سيرين والزهرى ، وقال به الشافعى ، أنهم يؤمرون به للتمرين عليه ، إذا أطاقوه ، وحده بالسبع ، والعشر كالصلاة ، وحده إسحاق باثنتى عشرة سنة ، وأحمد فى رواية بعشر سنين ، وقال الأوزاعى : إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعاً ، لا يضعف فيهن حمل على الصوم ، والأول قول الجمهور ، والمشهور عند المالكية أنه لا يشرع فى حق الصبيان ، ولقد تلتطف المصنف - أى : الإمام البخارى - فى التعقيب عليه بإيراد أثر عمر فى صدر الترجمة ؛ لأن أقصى ما يعتمد فى معارضة الأحاديث ، دعوى عمل أهل المدينة على خلافها ، ولا عمل يستند إليه أقوى من العمل فى عهد عمر ، مع شدة تحريه ، ووفور الصحابة فى زمانه ، وقد قال للذى أفطر فى رمضان ، موبخاً له كيف تفطر وصبياننا صيام ؟ وأعرب ابن الماجشون من المالكية فقال : إذا أطاق الصبيان الصيام ألزموه ، فإذا أفطروا لغير عذر فعليهم القضاء ^(١) .

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١ / ٤٧٠) عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه ، وبالصلاة إذا عقلوا .

* ومن اهتمام الصحابة بصيام أطفالهم ، أنهم يهيئون لهم اللعب أثناء الصيام ، ليتسلوا بها ؛ فلا يشعرون بطول النهار :

أخرج البخارى ومسلم عن الربيع بنت مَعُوذ قالت : أرسل رسول الله ﷺ صبيحة يوم عاشوراء ، إلى قرى الأنصار : « من كان أصبح صائماً فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه » ، فكنا نصوم بعد ذلك ، ونُصَوِّم صبياننا

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى (١٠٣ / ٥) .

الصغار منهم ، ونذهب إلى المسجد ، فنجعل لهم اللعبة من العهن — أى الصوف — فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه ، حتى يكون عند الإفطار .

قال الحافظ ابن حجر^(١) معلقاً : « وفى الحديث حجة على مشروعية تمرين الصبيان على الصيام ، كما تقدم ؛ لأن من كان فى مثل السن الذى ذكر فى هذا الحديث ، فهو غير مكلف ، وإنما صنع لهم ذلك للتمرين » .

وفى رواية لابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٤٧٦/١) تفصيل لطيف ، وفيه تعويد الطفل الرضيع على الصيام ، وهذا من معجزاته ﷺ فى أولاد فاطمة رضى الله عنهم :

فعن عُليّة بنت الكُميت العتكية قالت : سمعت أُمى أمينة تُحدثُ أنها أتت واسطاً فى زمن الحجاج بن يوسف تطلب عطاءها ، قالت : فلقيتُ ثمّ مولاةً لرسول الله ﷺ يُقال لها : أمة الله ، بعث إليها الحجاج فجاء بها ، قالت : وكانت أمّها خادماً لرسول الله ﷺ يُقال لها : رزينة ، قالت أمينة : فقلت لأمة الله : سمعت أمك تذكرُ فى صوم يوم عاشوراء شيئاً ؟ . قالت : نعم ، حدثتني أُمى رُزينة أنها سمعت النبی ﷺ يُعظّمهُ حتى إن كان ليدعو صبيانه ، أو صبيان فاطمة المراضع فى ذلك اليوم ، فيتفلّ فى أفواههم ، ويقول لأمهاتهم :

« لا ترضعوهم إلى الليل » فكان ريقه يجزيهم^(٢) .

❖ وكان الصحابة رضوان الله عليهم يجمعون أطفالهم ، ويدعون الله عزّ وجلّ لحظة الإفطار ، رجاء استجابة الدعاء ؛ فى تلك اللحظة المباركة :

روى أبو داود الطيالسى عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة »^(٣) ، فكان عبد الله بن عمر إذا أفطر ،

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى (١٠٤/٥ ، ١٠٥) .

(٢) قال الدكتور نجم عبد الرحمن خلف محقق (كتاب العيال) عن السند : إسناده معتبر ، ليس فيه منكر .

(٣) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان ، وهو حديث ضعيف . انظر : ضعيف الجامع ، رقم (٤٧٥٠) تحقيق الألبانى .

دعا أهله وولده، ودعا، ولا بأس باعتكاف الصبي العاقل في العشر الأواخر من رمضان حيث إن البلوغ ليس شرطاً لصحة الاعتكاف ، فيصح من الصبي العاقل؛ لأنه من أهل العبادة ، كما يصح منه صوم التطوع ، كما قال الكاساني في البدائع^(١).

الأساس العبادى الرابع : الحج :

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن بطلال: أجمع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ، إلا أنه إذا حُجَّ به كان له تطوعاً عند الجمهور^(٢).

و الحج مثل الصوم والصلاة يعود الطفل على هذه العبادات ؛ ليعتاد الصلة بالله تعالى، ومناجاته، والاستجابة لأوامره، وليتهيأ للتكليف الذى ينتظره عند بلوغه، فلا يجده صعباً، وشاقاً عليه، وإنما مألوفاً لديه .

والحج كما هو معروف يجمع مشقات العبادات كلها، بالإضافة إلى أنه يجمع لذتها جميعاً فإذا ما حُجَّ الصبي ، فهذه بشارة على سلوك الطاعة لله فى المستقبل إن شاء الله .

أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: أقبلتُ ركباً على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلى بالناس بمنى إلى غير جدار ، فمررتُ بين يدي بعض الصف، فنزلتُ، وأرسلتُ الأتان ترتع، ودخلتُ فى الصف ، فلم ينكر ذلك على أحدٍ. قال ابن حجر فى الفتح (٢/ ٢٧٦): «ناهزَ الاحتلام: أى قاربه » .

وعن أسامة بن زيد قال: كنت ردف النبي ﷺ بعرفة. رواه الحاكم فى مستدركه (٣/ ٥٩٧) وسكت عنه .

وإذا بلغ الأطفال الحلم، فعليهم حجة الإسلام؛ لأنه لا حج على الصبي،

(١) البدائع (٢/ ٤٤٢). وانظر: المستدرک (١/ ٤٨١).

(٢) الفتح (٤/ ٤٤٢). وانظر: بذل المجهود (٨/ ٣١٩)

لكونه غير مخاطب، وما فعله قبل البلوغ يكون تطوعاً، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها صبي؛ حج عشر حجج؛ ثم بلغ، فعليه حجة الإسلام»^(١).

وروى الحاكم في المستدرک عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا حجَّ الصبي؛ فهي له حجةٌ حتى يعقل، وإذا عقل فعليه حجة أخرى» وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي على التصحيح.

وروى الخطيب في التاريخ والضياء المقدسى في المختارة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أيها صبي حجّ، ثم بلغ الخنث، فعليه أن يحجَّ حجة أخرى»^(٢).

وروى ابن عدى في الكامل والبيهقى في جمع الجوامع عن جابر رضى الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال: «لو حج صغير حجة، كانت عليه حجةٌ إذا بلغ، إن استطاع إليه سبيلاً»^(٣).

وإن النبي ﷺ لينبه الأطفال، ويعلمهم، ويرشدهم، أثناء الحج إلى أهمية يوم عرفة، وهم يقومون بأداء مناسك الحج، كل ذلك بخطاب عاطفى مؤثر: روى الإمام أحمد في مسنده، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ابن أخى، إن هذا اليوم من مَلَكٍ فيه سمعُهُ، وبصرُهُ، ولسانُهُ، غُفر له»، يعنى: يوم عرفة^(٤).

وفى رواية البيهقى في «شعب الإيمان»: «يا ابن أخى، إن هذا يومٌ، من ملك فيه بصره إلا من حقٍّ، وسمعته إلا من حقٍّ، غُفر له، يعنى: يوم عرفة»^(٥).

(١) بدائع الصنائع للكاسانى (١٢٠/٢).

(٢) كنز العمال (٩٩/٥). حديث صحيح انظر: صحيح الجامع رقم (٢٧٢٩) تحقيق الألبانى.

(٣) الكنز (٤٥/٥).

(٤، ٥) السابق (٦٨/٥).

١- لطيفة فقهية^(١):

أ- قال الإمام الكاساني الحنفى فى البدائع :

ولو أحرم الصبى، ثم بلغ قبل الوقوف بعرفة، فإن مضى على إحرامه يكون حجه تطوعاً، عندنا، وعند الشافعى يكون عن حجة الإسلام، إذا وقف بعرفة وهو بالغ، وهذا بناء على أن من عليه حجة الإسلام، إذا نوى النفل يقع عن النفل عندنا، وعنده يقع عن الفرض .

ولو جدد الإحرام؛ بأن لبى أو نوى حجة الإسلام، ووقف بعرفة، وطاف طواف الزيارة، يكون عن حجة الإسلام بلا خلاف^(٢) .

ب- قال الإمام الشافعى فى مناسك الحج :

« إن الله عز وجل بفضل نعمته أثاب على الأعمال أضعافها، ومن على المؤمنين، بأن ألحق بهم ذرياتهم، ووفر عليهم أعمالهم، فقال: ﴿ الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الطور] فلما منَّ على الذرارى بإدخالهم جنته بلا عمل، كان أن منَّ الله عليهم؛ بأن يكتب عمل البر فى الحج، وإن لم يجب عليهم فى ذلك المعنى »^(٣).

٢- ما ورد فى حج أطفال الصحابة :

وروى مسلم ومالك وأبو داود والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالروحاء^(٤) فقال : « من القوم؟ » قالوا : المسلمون، فقالوا : من أنت؟ قال : « رسول الله » فرفعت امرأة صبياً، فقالت : ألهذا حج؟ قال : « نعم، ولك أجر » .

(١) بدأت فى كتابة (أحكام الطفل فى الفقه الإسلامى) أرجو من الله التوفيق والسداد والكمال والانتهاء اللهم آمين.

(٢) البدائع (٢/ ١٢١).

(٣) انظر: الاعتقاد للبيهقى (ص: ٧٦).

(٤) مكان بقرب المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام .

وروى أحمد والبخارى والترمذى وصححه عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: حُجَّ
بى مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع؛ وأنا ابن سبع سنين .

وروى النسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « جهاد الكبير،
والصغير، والضعيف، والمرأة: الحج والعمرة » .

وروى ابن السنى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : جاء غلام إلى النبى ﷺ
فقال :إنى أريد الحج، فمشى معه رسول الله ﷺ فقال : « يا غلام ، زدك الله
التقوى، ووجهك فى الخير، وكفاك الهَمَّ » فلما رجع الغلام على النبى ﷺ فقال : « يا
غلام، قبل الله حجك، وغفر ذنبك، وأخلف نفقتك » .

وهذا إن دلّ فإنما يدل على اهتمام الرسول ﷺ بهذا الركن العبادى بالنسبة
للأطفال ، فيمشى معهم، ويدعو لهم ، فى الذهاب والإياب .

وأخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه أتى يوم عرفة حين زالت
الشمس فصاح عند سُرادق (الحَجَّاج بن يوسف الثقفى)، فخرج وعليه ملحفَةٌ
مُعَصْفَرَةٌ، فقال : ما لك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: الرواح إن كنت تريد السُنَّة، قال :
هذه الساعة؟ قال: نعم، قال: فأنظرنى حتى أفيض على رأسى ثم أخرج، فنزل حتى
خرج الحجاجُ فسار، فقال له سالمُ بنُ عبد الله، وكان مع أبيه :إن كنت تريد السنة
فأقصر الخطبة وعجل الوقوف فجعل ينظر إلى عبد الله، فلما رأى ذلك عبد الله؛ قال:
صدق، وكان عبدُ الملك قد كتب إلى الحجاج ألا يُخالف ابن عمر فى الحج .

تلك ميزة التربية النبوية للصحابة، فخرجوا أطفالاً يعظون أقسى الولاة ظلماً،
ولا يأبهون به ما داموا ينطقون بسنة رسول الله ﷺ وعظاً وتنبهاً، وما داموا لا
يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً، وما داموا يخافون الله تعالى فى موعظتهم
ويبتغون رضوانه، كل ذلك بأسلوب حكيم : « إن كنت تريد السنة فاقصر الخطبة
وعجل الوقوف » .

وسار التابعون على منهاج النبوة وسيرة الصحابة، ينصحون الآباء في حج أولادهم واصطحابهم، وطريقة حجهم:

أورد ابن أبي الدنيا في كتاب (العيال) (٢/ ٨٥١) بعض الآثار نقتطف منها: عن سفيان بن عيينة قال: قيل لمحمد بن المنكدر: أنحج بالصبيان؟ قال: نعم، اعرضهم على الله - عز وجل .

هكذا التوجيه الإيماني، بعرض الأطفال في الزمان والمكان المبارك، لقوله ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرّضوا لها»^(١).

فتعريض الأطفال إلى النفحات الإلهية حسب ما ورد في السنن في الأزمنة المشهودة: السحر، وعند ختم القرآن، وعند الإفطار، ودروس العلم، وفي الأمكنة التي تحفها الملائكة: حلق القرآن والعلم والذكر، والمساجد، وأماكن مناسك الحج.

هكذا يفعل من يريد لابنه وبناته الصلاح، وأما تعريضهم للفتن ما ظهر منها وما بطن باسم السياحة تارة، وباسم الترفيه تارة أخرى، فهذا إلقاء إلى التهلكة يحصد ثمار ذلك الوالدان في الدنيا قبل الآخرة.

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه، قال: يُجرّد الصبي، ويُهَلُّ عنه.

وعن حصين بن علي قال: كان علي بن حسين يخرج بي - وأنا صبي - إلى مكة، فيجرّدني من نحو الجحفة، ثم يأتي فيطاف بي .

وعن عطاء قال: يُقضى عن الصبي كل شيء إلا الصلاة .

وعن الزهري (سئل) عن الصبي يُحجُّ به؟ قال: نعم، ويُجَنَّب ما يُجَنَّبُ المحرم من الثياب والطيب، ولا يُعطى رأسه، ويرمى عنه الجمار بعض أهله، ويُنحر عنه إن تمتع.

(١) رواه الطبراني عن محمد بن سلمة ورمز السيوطي لضعفه . انظر: الجامع الصغير (٢/ ٥٠٥).

وعن صالح بن حميد قال: رأيتُ القاسم بن محمد يُجَرِّدُ صبيانه، ويأمر أن يُذَكَّرُوا بالتلبية.

فالصبي يحج كما يحج الكبير سواء بسواء، وكذلك البنت تحج كما تحج الكبيرة سواء بسواء، ويكتب للصغير الأجر له ولوالديه كما مرّ سابقاً، ولمن أشرف وعلم الصغير كذلك.

وعن عطاء (سئل) في الصبي يُحجُّ به ولا يُحسنُ يُلبِّي؟ قال: يلبي عنه أبوه، أو وليّه.

وروى البيهقي في السنن الكبرى عن جابر بن عبد الله أنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ ومعنا النساء والولدان حتى أتينا ذا الحليفة فلبينا بالحج، وأهللنا عن الولدان».

وفي رواية: «فلبينا عن الصبيان، ورمينا عنهم».

هكذا يصطحب الصحابة أطفالهم مع رسول الله ﷺ في رحلة الحج، ولا يتركونهم. في البيوت بعيدين عن آبائهم وأمهاتهم ما داموا قادرين على النفقة عليهم، فلا يجرمونهم من النفحات الإلهية، والأنوار النبوية، إنهم يورثونهم الدين عملياً في واقع التطبيق، ويتحملون المشقات عنهم في سبيل الأجر من الله والتنشئة الصالحة، وفقنى الله وإياك لحسن الاقتداء.

بقي سؤال أخير: هل إذا أخطأ الصبي في أعمال الحج عليه كفارات؟.

قال يحيى بن محمد: معنى قول أبي حنيفة على ما ذكره أصحابه، أنه لا يصح صحة يتعلق بها وجوب الكفارات عليه؛ إذا فعل محظورات الإحرام، زيادة في الرفق، لا أنه يخرجهم من ثواب الحج^(١).

(١) بذل المجهود (٨/٣١٩).

الأساس العبادى الخامس : الزكاة^(١):

أخرج أبو داود عن عمرو بن شعيب - رحمه الله - عن أبيه عن جده : أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب ، فقال لها: « أتعطين زكاة هذا؟ » قالت : لا، قال : « أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟ » فخلعتهما ، فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت : هما لله ولرسوله .

وأما عن زكاة الفطر:

فقد أخرج البخارى ومسلم ومالك والنسائى وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كل عبد، وحرٍّ، صغير أو كبير^(٢) .

ونلاحظ أن هذه العبادة فرض وليست نفلاً، ومن هنا نلاحظ حرص الإسلام على بقاء الأموال طاهرة مزكاة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

الأساس العبادى السادس : تعليم الطفل حسن الدعاء وسننه :

« الدعاء هو العبادة »^(٣) كما قال النبي ﷺ وفي رواية : « الدعاء مخ العبادة »^(٤) ، فهو حصيلة الطاعات ووسيلة لمناجاة الله تعالى فى الشدة والرخاء ، وفى المرض والصحة، وفى الفقر والغنى، وفى مواجهة كل الأخطار التى تحصل للطفل . إنه الحل لإزالة كل عقيدة نفسية تواجه الطفل ، أن يُعوّد الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء .

(١) الشافعية قالوا: بفرض الزكاة على الأطفال، والحنفية قالوا: بعدم فرضيتها. انظر: بدائع الصنائع (٢/ ٤، ٥).

(٢) رواه الدارقطنى عن ابن عباس (٢/ ١٥٠) وعن جابر (٢/ ١٥١).

(٣) رواه أحمد والترمذى وقال: حسن صحيح (عن النعمان بن بشير) وقال الحاكم: صحيح عن البراء، وقال النووى: أصابته صحيحة: انظر: الجامع الصغير (٣/ ٥٤٠).

(٤) رواه الترمذى عن أنس ؓ ورمز السيوطى لضعفه فى الجامع الصغير (٣/ ٥٤٠).

إنه الطريق السهل في زيادة قوة الطفل في النفسية في تحقيق ما يطمح إليه، ويصبر له.
فإذا أراد النجاح في المدرسة يُعلم الدعاء، وإذا طمح إلى التفوق فيعلم الدعاء،
وإذا أشكل عليه شيء من الدرس فيعلم الدعاء، وإذا لم يملك النقود لشراء
حاجياته الدراسية أو البيتية فيعلم الدعاء .

فالدعاء سلاح يستخدمه الطفل في كل لحظة وفي كل آن، مما يجعله في حالة أمل
مشرق لا يتسرب إليه الشيطان بالقاء اليأس في قلبه، ويجعله متفاعلاً مع الحياة
الواقعية، فهو يطلب من الله تعالى تحقيق آماله وأشواقه وطموحاته، فهو يطلب ممن
بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

أخرج أبو داود - بسند صحيح - عن ابن المغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: اللهم،
إنني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، إذا دخلتها، فقال: أى بُني، سل الله الجنة
وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « سيكون في هذه الأمة قومٌ
يعتدون في الظهور والدعاء » ورواه أحمد وابن ماجه ^(١).

هكذا يعلم الصحابة أبناءهم حسن الإتياع، وعدم الاعتداء في الدعاء، بل إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم ابن عباس طريقة مواجهة الحياة الصعبة، ويرسم له الخطوات،
ويُعرفه أن الفاعل الحقيقي في هذا الكون هو الله تعالى، وأن الالتجاء إليه في كل
شأن هو سبيل النجاح، وهو سبيل المؤمنين الصادقين .

روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوماً
فقال: « يا غلام، إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده مُجَاهَكَ. إذا
سألت فاسأل الله. وإذا استعنت فاستعن بالله » .

فأى منهج تربوى في التاريخ غير المنهج النبوي، يستطيع أن يختصر تلك
التوجيهات النبوية، ويُغذى الطفل بمثل تلك المعانى الإيمانية؟!!

(١) انظر: جامع الأصول، تحقيق الأرناؤوط (٤/ ١٦٠).

بل أى كتاب يستطيع أن يختزل تلك المعانى بأقل من تلك العبارات النبوية؟!

إنها النبوة، فقد أوتى ﷺ جوامع الكلم فى كل ميادين الحياة .

وإنه تعليم الطفل الالتجاء إلى الله - تعالى - بلا واسطة من كبير أو صغير، وحتى والديه المقربين .

إنه مواجهة الطفل مع خالفه بالتقرب إليه بالدعاء، والطلب منه بالدعاء، وطلب حل المشكلة بالدعاء، هكذا تفعل التربية النبوية فى الأطفال، وهكذا تفعل العبادة، بل منح العبادة فى الأطفال.

وروى النسائي وابن خزيمة والطبرانى فى الكبير وابن عساكر وسعيد بن منصور عن أبى أمامة ؓ والطبرانى عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ، وَالنَّهَارُ مَعَ اللَّيْلِ ؟ قُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءُ كُلِّ شَيْءٍ .

وسبحان الله عدد ما خلق، وسبحان الله ملء ما خلق، وسبحان الله عدد ما فى السموات والأرض ، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابه، وسبحان الله عدد كل شيء، وسبحان الله ملء كل شيء .

تَعَلَّمُهُنَّ، وَعَلَّمَهُنَّ عَقِبَكَ مِنْ بَعْدِكَ » . كنز العمال (١ / ٤٤١)

هكذا يوصى ﷺ أصحابه بتعليم أطفالهم الدعاء وذكر الله تعالى، فهل يتحرك الغيورون على دين الله تعالى لمثل هذا؟! اللهم وفقنا لذلك.

وإن الرسول ﷺ لينقل لنا، ويعلمنا، ويخبرنا أن سيدنا نوحا - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - أوصى ابنه قبل وفاته بذكر الله - تعالى :

فروى عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا أخبركم عن وصية نوح ابنه حين حضره الموت وقال : إني واهب لك أربع كلمات من قيام السموات والأرض، وهن أول كلمات دخولا على الله، وآخر كلمات خروجاً من عنده، ولو وزن بهن أعمال بني آدم لوزنتهن، فاعمل بهن، واستمسك حتى تلقاني، أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر .

والذى نفس نوح بيده، لو أن السموات والأرض؛ وما فيهن، وما تحتهن، وزن بهؤلاء الكلمات لوزنتهن » . رواه الحكيم الترمذى والديلمى عن معاذ بن أنس .

وفي رواية ابن أبي شيبة عن جابر : « ألا أعلمكم ما علّم نوح ابنه، أمرك بقول : لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك؛ وله الحمد، وهو على كل شيء قدير .

فإن السموات لو كانت في كفة لرجحت بها، ولو كانت حلقة فصمتها، وأمرك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخلق، وتسبيح الخلق، وبها يرزق الخلق » ^(١) .

فالأنباء والرسل عليهم الصلاة والسلام يورثون أبناءهم الصلة بالله تعالى، والكلمات التى تقرّبهم من الله تعالى، ويورثونهم عبادة التوحيد لله تعالى.

الأساس السابع : تعليم الطفل النشيد الإسلامى :

النشيد يحرك العاطفة، ويستجيش فى النفس دواعى الحركة، ويغذيها بحسب المعانى التى تنشد، فإذا كان النشيد إيمانياً، ازدادت نفس الطفل إيماناً، وإذا كان جهادياً ازدادت النفس حباً للجهاد فى سبيل الله، وفداء للوطن الإسلامى، وهو أسلوب أهل الأنصار، فى استقبالهم لرسول الله ﷺ يوم الهجرة . كما أنه أسلوب الصحابة رضوان الله عليهم قبل البدء فى المعارك، يرتجزون الشعر ليثيروا الحمية الإيمانية.

(١) انظر : كنز العمال (١ / ٤٧١) .

قال القسطلاني في المواهب اللدنية (١٦٥ / ٢) : « وفرح أهل المدينة بقدومه ﷺ وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور إلى القلوب، قال أنس بن مالك ﷺ : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضواء منها كل شيء^(١) وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير^(٢) عند قدومه يقلن :

طلـع البـدر علينا	مـن ثـيـات الـوداع
وجـب الشـكر علينا	مـا دـعا لـه دـاع
أيـها المـبعـوث فينا	جئـت بالأمر المطاع ^(٣)

قلت (أى القسطلاني) : إنشاد هذا الشعر عند قدومه ﷺ المدينة رواه البيهقي في الدلائل، وأبو بكر المقرئ في كتاب الشئائل له عن ابن عائشة، وذكره الطبري في الرياض عن ابن الفضل الجمحي .

ثم قال : وفي شرف المصطفى وأخرجه البيهقي عن أنس ﷺ : لما بركت الناقة على باب أبي أيوب، خرج جوار من بنى النجار بالدفوف يقلن :

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

فقال ﷺ : « أتحييننى ؟ » قلن : نعم يا رسول الله، وفي رواية الطبراني في الصغير فقال ﷺ : « الله يعلم أنى أحبكن » .

وقال الطبري : وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون : جاء محمد، جاء رسول الله.

قال الزرقاني في شرحه : الحاكم في الإكليل عن البراء ولفظه : « فخرج الناس

(١) أخرجه الترمذي في المناقب وقال : حديث صحيح غريب ، وابن ماجه في الجنائز ، قاله الزرقاني في شرحه على المواهب (١٦٥ / ٢) .

(٢) الأجاجير : الأسطحة .

(٣) زاده رزين، قاله الزرقاني .

حين قدم المدينة في الطرق والغلمان والخدم يقولون :

جاء محمد رسول الله، الله أكبر، جاء محمد رسول الله .

وجاء في السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي (١ / ٢٣٤) :

وعن عائشة رضى الله عنها: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن : طلع البدر علينا .. الأبيات.

هكذا فرح أهل المدينة وغلمانها بقدوم رسول الله ﷺ ، وتلقوه بالدفوف وأهازيج الشعر فرحاً وطرباً وبهجة وسروراً به ﷺ .

فلا مانع من إشباع روح الطفل بمثل تلك الأناشيد الإيمانية؛ لتحرك مشاعره وأحاسيسه.